مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (٢) نيسان. لسنة ٢٠٢٦م -١٤٤٧هـ

عادات العرب في الجاهلية من خلال كتاب الأغاني لأبي فرج الأصفهاني

م.م علاء حسين محمد
جامعة ذي قار/ مركز الدراسات التاريخية والآثارية
alaa.hussein@utq.edu.iq

الملخص

ذكر التاريخ العرب في زمن الجاهلية قبل الاسلام وأكثر الكلام عن عاداتهم وسجاياهم بما فيها العادات الحسنة التي امضاها الاسلام وبقى الناس عليها بعد اسلامهم والعادات السيئة التي نهى عنها الاسلام وأمر بعكسها. ومن جملة الكتب التي تكلمت بمناسبات مختلفة عن عادات العرب، كتاب الأغاني لمؤلفه أبي الفرج الاصفهاني حيث تطرق الى بعض عادات العرب من خلال ترجمته للشعراء والأدباء في الجاهلية والاسلام؛ وحيث أنه من الكتب المعتبرة والمصادر المهمة في نقل الأحداث التاريخية، رأينا أن ندرس عادات العرب في الجاهلية من منظور هذا الكتاب وذلك بمنهج وصفي تحليلي؛ فتوصلنا من خلال هذا البحث أن العرب في الجاهلية كانت لهم عادات حسنة كما ذكر التاريخ لهم بعض العادات السيئة ايضاً؛ ومن جملة عاداتهم الحسنة كرمهم وجودهم ثم وفائهم بالعهود والمواثيق ثم شجاعتهم التي كانت ورد الألسن؛ وأما من عاداتهم السيئة فعكوفهم على عبادة الأصنام ثم وادهم للبنات حيث كانوا يرون البنت عاراً ثم شربهم الخمر واخيراً إكثارهم من الحروب والشجار فيما بينهم. طبعاً هذه ليست جميع عاداتهم بل ذكرنا هاهنا بعض عاداتهم حسب ظرف وإطار هذا البحث الموجز واكتفينا بها مع أنهم كان لهم عادات أكثر من هذا بكثير.

الكلمات المفتاحية: (العادات، العرب، الجاهلية، كتاب الأغاني، أبو الفرج الاصفهاني).

Arab customs in the pre-Islamic era, as described in the Book of Songs by Abu al-Faraj al-Isfahani

Assistant teacher :Alaa Hussein Mohammed
University of Thi-Qar / Center for Historical and Archaeological Studies
alaa.hussein@utq.edu.iq

Abstract

History has mentioned the Arabs in the pre-Islamic era of ignorance and has talked a lot about their customs and traits, including the good customs that Islam approved and that people continued to follow after their conversion to Islam, and

the bad customs that Islam forbade and ordered their opposite. Among the books that talked on various occasions about the customs of the Arabs is the Book of Songs by its author Abu al-Faraj al-Isfahani, where he touched on some of the customs of the Arabs through his biographies of poets and writers in the pre-Islamic and Islamic eras. Since it is one of the reliable books and important sources in transmitting historical events, we saw that we should study the customs of the Arabs in the pre-Islamic era from the perspective of this book, using a descriptive and analytical approach. Through this research, we concluded that the Arabs in the pre-Islamic era had good customs, as history mentioned that they had some bad customs as well. Among their good customs were their generosity and munificence, then their fulfillment of covenants and agreements, and then their courage, which was the talk of the tongue. As for their bad customs, they were devoted to idol worship, then their burying of girls as they considered a disgrace to a girl, then their drinking of alcohol, and finally their frequent wars and quarrels among themselves. Of course, these are not all of their customs, but we have mentioned here some of their customs according to the circumstances and framework of this brief research, and we were satisfied with them, although they had customs much more than this.

Keywords: (Customs, Arabs, pre-Islamic era, Book of Songs, Abu al-Faraj al-Isfahani).

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين انه خير ناصر ومعين والحمد لله رب العالمين وصل الله على محمد وآل الطيبين الطاهرين.

إنَّ التاريخ العرب يقسّم الى قسمين؛ القسم الأول تاريخهم قبل البعثة النبوية لخاتم الأنبياء والمرسلين محمد المصطفى صلى الله عليه وآله؛ والقسم الثاني تاريخهم منذ البعثة والاحداث التي جرت فيما بعدها. ثم إن القسم الأول من تاريخهم يسمى بتاريخ الجاهلية نسبة لما كان عليه العرب من الجهل خلافاً لتاريخهم بعد البعثة النبوية حيث أسلموا وعلموا بما ينفعهم وما يضرهم من أمور دنياهم وأخراهم.

ثم إن صفحات التاريخ مملؤة من بيان الاحداث والأمور التي كانت تجري في الجاهلية وما كان عليه العرب قبل الإسلام من عادات وسجايا وصفات منها الصالحة ومنها الطالحة.

وقد تطرق المؤرخين لنقل هذه الصفات حيث أثنى عليهم الناس عند ذكرهم بتلك الصفات الحميدة والحسنة مثل كرمهم وجودهم وسخاهم، التزامهم بالوفاء بالعهود والمواثيق، شجاعتهم وبأسهم وغيرها من الصفات والعادات الحسنة؛ لكن في المقابل قد تسودت صفحات التاريخ

بذكر بعض صفاتهم وعاداتهم السيئة بالأخص عكوفهم على عبادة الأصنام التي كانت من صنع أيديهم، وأدهم للبنات وتركهم الاولاد مع أن الولد والبنت كلاهما من أنعم الله تعالى على الانسان، شربهم الخمر والميسر، إكثارهم من الحروب والمشاجرات في شتى المسائل وذلك تبعاً لحكم القبلية التي كان يسودهم.

لهذا رأينا ان ندرس عادات العرب في الجاهلية من خلال كتاب الأغاني لمؤلفه أبي الفرج الاصفهاني حيث يعتبر هذا الكتاب من المصادر المهمة و المشهورة في ترجمة الكثير من شعراء العرب سواء في الجاهلية و سواء في الإسلام و ذلك في إطار مبحثين وهما كالتالي:

المبحث الأول: العادات الحسنة للعرب الجاهلي.

المبحث الثانى: العادات السيئة للعرب الجاهلي.

نسأل الله الباري تعالى أن يوفقنا لدراسة هذا العنوان و فهم ما كان في حقيقة الأمر من دون تحميل رأي على الواقع ليبقى قلمنا قلم علمي صائب مصون من الانحراف و الإنحياز.

قبل البدأ بدراسة عادات العرب في الجاهلية يجدر بنا أن ندرس أهم المفاهيم الواردة في البحث و هي كالتالي:

١. المفاهيم

هذه المفاهيم عبارة عن مفهوم العرب، مفهوم الجاهلية، ترجمة ابو الفرج الاصفاني والتعرف على كتاب الأغاني.

١-١. مفهوم العرب

العرب في اللغة بمعنى الصريح و الفصيح(الفراهيدي، ١٤٠٩، ج٢، ص١٢٨) وهم جيل من الناس من أهل الأمصار خلافاً للأعراب الذين هم الذين يسكنون البادية(الجوهري، ١٣٧٦، ج١، ص١٧٨) فالعرب خلافاً للعجم (الجهامي، ٢٠٠٦، ج١، ص١٧٤٦) وتنقسم الى ثلاثة أقسام؛ العرب العاربة وهم الذين يتكلمون بلغة يعرب بن قحطان وهو اللسان القديم والعرب المستعربة وهم الذين يتكلمون بلسان اسماعيل عليه السلام(بصمه جي، ٢٠٠٩، ص٤٠٥) والعرب البائدة وهم الذين ذهبت عنا تفاصيل أخبارهم مثل قوم عاد وثمود. (الجهامي، ٢٠٠٦، ج١، ص١٧٤٧)

١-٢. مفهوم الجاهلية

الجاهلية في اللغة من مادة ج هـ ل و هو نقيض العلم.(الفراهيدي، ١٤٠٩، ج٣، ص٣٩٠) فالجاهلية تكون بمعنى زمان الفترة ما قبل الاسلام حيث لم يكن الناس يعلمون.(الازهري، ١٤٢١، ج٦، ص٣٧) وفي الاصطلاح تأتي بنفس المعنى(بصمه جي، ٢٠٠٩، ص١٦٦) لكن قد حددها صاحب المعجم الشامل بالحالة التي كانت عليها العرب قبل الإسلام، لأنهم كانوا جاهلين بالله و رسوله و شرائع الدين و مشغولين بالمفاخرة بالآباء والأنساب والكبر والتجبر وغير ذلك.(سرور، ١٤٢٩، ج١، ص ٩٧) ورأى صاحب معجم التعريفات الفقهية أن يعرفها بالفترة التي كانت بين عيسى عليه السلام و بين بعثة النبي صلى الله عليه و آله. (المجددي البركتي، ٢٠٠٩، ص٦٨).

١-٣. ابو الفرج الاصفهاني

هو علي بن الحسين بن محمد بن الهيثم بن عبد الرحمن القرشي الأموي المرواني(الخوانساري، ١٣٩٠، ج٥، ص٢٢٠) من ولد هشام بن عبد الملك و كان شاعراً مصنفاً أديباً.(ابن النديم، ص١٦٦) كان من الزيدية(الطوسي، ص١٩٢). من أئمّة الأدب والمعرفة في الأنساب والسير والآثار واللغة والمغازي، و كان مولده سنة ٢٨٤ هـ.(عبد الحميد، ج١، ص٥٩٣).

ابو الفرج أصله من اصفهان مدينة في ايران لكنه نشأ في بغداد و كانت واعلام وكبار الأدباء في زمانه وفي نفس الوقت كانت يعتنق المذهب الشيعي وعالماً بالاحاديث والاغاني و الآثار الى جانب الطب والنجوم والمغازي وغيرها من العلوم. (الخوانساري، ١٣٩٠، ج٥، ص٢٢٠) وكان منقطعاً الى الوزير المهلبي.(الخوئي، ١٤١٣، ج١٢، ص٣٩٧)

له عدة كتب منها كتاب الأغاني الكبير نحو خمسة آلاف ورقة؛ كتاب مقاتل آل أبي طالب المعروف بمقاتل الطالبيين؛(الطوسي، ص١٩٢) كتاب تفضيل ذي الحجة؛ كتاب الأخبار والنوادر؛ كتاب أدب السماع؛ كتاب أخبار الطفيليين؛ كتاب أدب الغرباء من أهل الفضل والأدب؛ كتاب مجموع الآثار والأخبار؛ كتاب أشعار الإماء والمماليك؛ كتاب الحمارين والحمارات؛ كتاب الديارات؛ كتاب صفة هارون؛ كتاب الفرق والمعيار.(ابن النديم، ص١٦٧) و كتاب ما نزل من القرآن في أمير المؤمنين وأهل بيته عليهم السلام، وكتاب فيه كلام فاطمة

عليها السلام في فدك.(الطوسي، ص١٩٢) وكتاب جمهرة النسب، كتاب نسب بني عبد شمس، كتاب نسب بني شيبان، كتاب نسب المهالبة، كتاب نسب بني تغلب، كتاب الغلمان المغنّين، كتاب الحانات.(الصفدي، ١٣٨١، ج٢١، ص٢٥) توفي سنة نيف وستين وثلاثمائة.(ابن النديم، ص١٦٧)

١-٤. كتاب الأغاني

كتاب الاغاني من مؤلفات أبي الفرج الاصفهاني وهو كتاب لم يؤلف مثله في أنواع الألحان والأصوات وذكر الأشعار الموافقة للألحان مع تراجم شعرائها والمغنين بها(آقا بزرك الطهراني، ١٤٠٣، ج٢، ص٢٤٩) وقد جمعه ابو الفرج في خمسين سنة ثم أهداه الى سيف الدولة فجازاه سيف الدولة بألف دينار ثم أن هذا الكتاب للزاهد فكاهة وللعالم مادة وزيادة وللكاتب والمتأدب بضاعة وتجارة وللبطل رجلة وشجاعة و للمضطرب رياضة وصناعة وللملك طيبة و لذاذة.(حاجي خليفة، ج١، ص١٢٩) ثم يعد هذا الكتاب من أضخم الكتب الأدبية، فهو يضم ٢٤ مجلداً، وعن البعض أنه في ٢٥ مجلداً ضخماً(سلوى، ١٤٢٧، ج١، ص٦٢) وهو أوسع مصدر نملكه في تراجم شعراء العربية حتى نهاية القرن الثالث الهجري فقد ترجم لما يقرب من خمس مائة شاعر من الجاهلية وصدر الإسلام، والعصر العباسي الأول. فهو يضم ثروة أدبية ثمينة. فقد ذكر المؤلف نسبهم وأخبارهم وأشعارهم وغير ذلك من الأمور حتى أصبح الكتاب مرجعا للحضارة العربية الإسلامية. (سلوى، ١٤٢٧، ج١، ص٦٢)

ثم ان ابا الفرج في كتابه الأغاني ذكر في البداية الأصوات التي كانت مفضلة عند الرشيد ثم انتقل الى غيرها كما أنه جمع في هذا الكتاب جميع الأغاني التي تمكن من جمعها سواء كانت حديثة وسواء كانت قديمة مع انتشابها الى الشاعر والملحن ثم أشار الى الاحداث والأخبار التي كانت في العالم العربي آنذاك في الجاهلية وحتى في الاسلام حتى زمانه.(سركيس١٤١٠، ج١، ص٣٣٨).

وقد مدحه العلماء كثيراً فكانوا يعتمدون عليه ويراجعونه؛ و ممن أثنى على هذا الكتاب اللغوي الشهير صاحب بن عبّاد حيث ينقل عنه أنه بعد ما وصله خبر هية سيف الدولة لأبي الفرج مقابل كتابه الأغاني الذي كان قد أهداه اليه، أنها هدية مزجاة و قد قصّر سيف الدولة في

حق ابي الفرج فهو يستحق أضعاف هذه الهدية لكتابه الأغاني هذا.(الأصفهاني، ١٤١٥، ج١، ص٢٥) كما نقل عن كاتب عضد الدولة بعد ما رأى الكتاب أن عضد الدولة كان لا يكاد يفارق كتاب الأغاني لا في سفره ولأعند حضره فكأن يأنس بهذا الكتاب في جميع أوقاته. كما نقل عن الحموي ايضاً أنه مدح هذا الكتاب وأثنى عليه. (الأصفهاني، ١٤١٥، ج١، ص٢٥) وعن ابن خلدون أنه اعتبره ديوان العرب الجامع لمحاسن كلامهم و فنون أشعارهم وتاريخهم و غناهم؛ فهو كتاب لا يعدله كتاب. (الأصفهاني، ١٤١٥، ج١، ص٢٦)

فهو يعدّ من العيون التي يرجع إليها في التاريخ، فهو و إن كان كتاب أدب لكنّه جمع من التاريخ الشيء الكثير جدّا، يقال إنّه: جمعه في خمسين سنة، قال ابن ملكان: وقع الاتّفاق على أنّه لم يعمل في بابه مثله.(عبد الحميد، ١٤٢٤، ج١، ص٥٩٤) فلاشك ولا ريب أن هذا الكتاب يعد من المصادر الأم ومن الطبقة الأولى من التراث العربي كما للكتاب ميزة أخرى وهي أنه يعتني بحياة العرب في زمان المؤلف أبي الفرج وكذلك في الأزمنة المتقدمة عليه فيسجلها ابو الفرج بكل صدق وأمانة فينقل لنا أحوالهم فس شتى طبقاتهم من الأمراء والملوك والوزراء الى العلماء والشعراء وحتى مختلف أصناف الشعب العربي فيمكننا التعرف من خلال هذا الكتاب على عاداتهم وأحوالهم و طريقة تفكيرهم وعلاقاتهم الاجتماعية فيما بينهم.(الأمين، ١٤٠٣، ج٨، ص٢٠٠).

٢. العادات الحسنة للعرب الجاهلي

ذكر ابو الفرج الاصفهاني في كتابه الأغاني بعض العادات الحسنة للعرب الجاهلي؛ نشير فيما يلي الى البعض منها:

٢-١. الكرم والجود

من أشهر العادات الحسنة لدى العرب بما فيهم العرب الجاهلي، كرمهم وجودهم؛ وقد نجد اشارات في الأغاني الى هذا الكرم والجود نشير الى بعض هذه الاخبار؛ منها خبر السموأل بن عريض بن عاديا بن حباء، حيث كان صاحب الحصن المعروف بالأبلق بتيماء المشهور بالوفاء، وكانت العرب تنزل به، فيضيفها، وتمتار من حصنه، وتقيم هناك سوقا. وبه يضرب

المثل في الوفاء لإسلامه ابنه حتى قتل، ولم يخن أمانته في أدراع أودعها. (الأصفهاني، ١٤١٥، ج٢٢، ص٣٥٠)

وأما فيما يتعلق بحاتم الطائي الذي أصبح يضرب مثلاً للجود والكرم فقد ذكر ابو الفرج كرم أمه وابنته الى جانبه؛ فقال في أمه أنها عتبة بنت عفيف كانت ذات يسار وكانت من أسخى الناس وأقراهم للضيف. فلما رأى إخوتها إتلافها حجروا عليها، ومنعوها مالها، فمكثت دهراً لا يدفع إليها شيء منه، حتى إذا ظنّوا أنها قد وجدت ألم ذلك أعطوها صرمة من إبلها، فجاءتها امرأة من هوازن كانت تأتيها في كلّ سنة تسألها، فقالت لها: دونك هذه الصّرمة فخذيها، فو الله لقد عضّني من الجوع ما لا أمنع منه سائلا أبدا، ثم أنشأت تقول: (الأصفهاني، ١٤١٥، ج١٧، ص٢٣٤)

لعمري لقدما عضّني الجوع عضّة فآليت ألاّ أمنع الدّهر جائعا
فقولا لهذا اللائمي اليوم: أعفني فإن أنت لم تفعل فعضّ الأصابعا
فما ذا عساكم أن تقولوا لأختكم سوى عذلكم أو عذل من كان مانعا
وما ذا ترون اليوم إلاّ طبيعة فكيف بتركي يا ابن أمّ الطّبائعا

وعنه هو ايضا ذكر نسبه فقال: هو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن امرئ القيس بن عديّ بن أخزم، بن أبي أخزم، واسمه هزومة بن ربيعة بن جرول بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيئ. (الأصفهاني، ١٤١٥، ج١٧، ص٢٣٣) ثم نقل رواية عن الامام علي عليه السلام حين التقى النبي صلى الله عليه و آله بإبنة حاتم وهي اسيرة بين يديه فأطلق سراحها لأجل كرم ابيها:

عن كميل بن زياد النخعيّ، عن عليّ عليه السلام، قال: يا سبحان الله! ما أزهد كثيرا من الناس في الخير! عجبت لرجل يجيئه أخوه في حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلا، فلو كنّا لا نرجو جنّة، ولا نخاف نارا، ولا ننتظر ثوابا، ولا نخشى عقابا، لكان ينبغي لنا أن نطلب مكارم الأخلاق؛ فإنها تدلّ على سبيل النجاة. فقام رجل، فقال: فداك أبي وأمّي يا أمير المؤمنين، أسمعته من رسول الله صلّى الله عليه وآله؟ قال: نعم، وما هو خير منه؛ لما أتينا بسبايا طيئ كانت في النساء جارية... فقلت: لأطلبنّها إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله ليجعلها من

فيئي. فلما تكلّمت أنسيت جمالها؛ لما سمعت من فصاحتها، فقالت: يا محمد، هلك الوالد، وغاب الوافد؛ فإن رأيت أن تخلي عنّي، فلا تشمت بي أحياء العرب؛ فإني بنت سيّد قومي، كان أبي يفكّ العاني، ويحمي الذمار، ويقري الضيف، ويشبع الجائع، ويفرّج عن المكروب، و يطعم الطعام، ويفشي السلام، ولم يردّ طالب حاجة قط؛ أنا بنت حاتم طيئ. فقال لها رسول الله صلّى الله عليه وسلم: يا جارية، هذه صفة المؤمن، لو كان أبوك إسلاميّا لترحمنا عليه، خلّوا عنها؛ فإنّ أباها كان يحبّ مكارم الأخلاق، والله يحبّ مكارم الأخلاق. (الأصفهاني، ١٤١٥، ج١٧، ص٢٣٣)

كذلك الخبر عن كرم ابنته وجودها حيث نقل عن ابو مسكين أنه قال: كانت سفّانة بنت حاتم من أجود نساء العرب، وكان أبوها يعطيها الصّرمة بعد الصّرمة من إبله، فتنهبها و تعطيها الناس، فقال لها حاتم: يا بنية، إنّ القرينين إذا اجتمعا في المال أتلفاه، فإما أن أعطي وتمسكي، أو أمسك وتعطي؛ فإنه لايبقى على هذا شيء. (الأصفهاني، ١٤١٥، ج١٧، ص٢٣٥)

وهي حال الكثير من العرب حتى أنهم عرفوا بالكرم والجود ولازالوا على هذه الصفة الحميدة؛ وقد نقل ابو الفرج الاصفهاني عن سلمى بنت الأسود بن يعفر أنها عاتبت أباها على كثرة كرمه وجوده وبذله المال للناس. (الأصفهاني، ١٤١٥، ج١٣، ص٢٠) وكذلك خبر لبيد بن ربيعة بن مالك الذي كان يعرف بين الناس بربيع المقترين و ذلك لكثرة جوده وسخائه وكرمه. (الأصفهاني، ١٤١٥، ج١٥، ص٢٤١)

٢-٢. الوفاء بالعهود

ثم من جملة الصفات الحميدة لدى العرب في الجاهلية وقد أمضاها الاسلام بل أمر القرآن الناس بها وأثنى الاسلام على من يلتزم بها وأنكر فعل من جفاها، الوفاء بالعهود والعقود. ومن جملة العرب الذين كانوا معروفين بوفائهم بالعهود السموأل بن عريض بن عاديا حيث كان يضرب به المثل في وفائه. (الأصفهاني، ١٤١٥، ج٢٢، ص٣٥٠)

وقد ينقل عنه قصة عجيبة أن الحارث تهدده بان يقتل ابنه إن لم ينكث بعهده ولكنه أفدى ابنه و لم ينكث عهده؛ وحقاً قتل ابنه في هذا الطريق فأنشده قائلاً: (الأصفهاني، ١٤١٥، ج٢٢، ص٣٥١)

وفيت بأدرع الكنديّ إني إذا ما ذمّ أقوام وفيت
وأوصى عاديا يوما بألاّ تهدّم يا سموأل ما بنيت
بنى لي عاديا حصنا حصينا وماء كلّما شئت استقيت

كما يذكر ابو الفرج قصة تواثق و تحالف دريد بن الصمة ومعاوية بن عمرو بن الشريد بأنه اذا مات احدهما يرثي الآخر صديقه الميت ولما قتل معاوية بن عمرو، رثاه دريد ولم يترك الوفاء بما عاهد عليه. (الأصفهاني، ١٤١٥، ج١٠، ص٢٦٠) ونفس الوفاء بالعهد نجده في قصة شريك بن عمرو وضمانه الطائي حيث قال للمنذر خذني مكانه و إن لم يعد في أجله، فإن دمي يكون بدمه ويدي بيده؛ وعندما تأخر الطائي في الرجوع الى المنذر في الأجل المقرر، أمر المنذر بقتل شريك بن عمرو ولكن فوجئ برجوع الطائي و وفائه بالعهد بعد ما أفلت من القتل، فأمر بخلاصهما معاً. (الأصفهاني، ١٤١٥، ج٢٢، ص٢٣١)

واما قصة حلف الفضول فهي معروفة مشهورة في التواريخ وقد أشار اليها ابو الفرج في الأغاني فذكر أقوالاً في بيان سبب هذا الحلف ثم أشار الى أنه اجتمعت بطون قريش، فتحالفوا على ردّ الظلم بمكة، وألا يظلم رجل بمكة إلاّ منعوه، وأخذوا له بحقه، وكان حلفهم في دار ابن جدعان، فكان رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول: «لقد شهدت حلفا في دار ابن جدعان ما أحبّ أنّ لي به حمر النّعم، ولو دعيت به لأجبت». فقال قوم من قريش: هذا والله فضل من الحلف؛ فسمّى حلف الفضول. (الأصفهاني، ١٤١٥، ج١٧، ص١٤٨) وكان أهل الحلف هذا، بنو هاشم، وبنو المطلب، وبنو أسد بن عبد العزّى، وبنو زهرة، وبنو تيم، تحالفوا بينهم ألاّ يظلم بمكة أحد إلا كنّا جميعا مع المظلوم على الظالم، حتى نأخذ له مظلمته ممّن ظلمه شريفا أو وضيعا، منّا أو من غيرنا. (الأصفهاني، ١٤١٥، ج١٧، ص١٨٥) وبقوا على تحالفهم وعهدهم في مكافحة الظلم و نصرة المظلوم في مكة وكان رسول الله صلى الله عليه و آله قبل البعثة منهم.

٢-٣. الشجاعة

العادة الحسنة الأخرى الذي عرف العرب بها بما فيهم العرب الجاهلي، هي الشجاعة؛ فقد كان العرب ذوو شجاعة، أصحاب جأش و براز. وقد ذكر ابو الفرج عمرو بن معديكرب بن عبد الله مثالاً للشجاعة حيث وصفه بفارس اليمن وأنه كان صاحب شدة و بأس. (الأصفهاني، ١٤١٥، ج١٥، ص١٣٧) كما أسمى هاشم بن حرملة بن ضرمة بأسد من أسود العرب و من أشدهم في الشجاعة ايضاً(الأصفهاني، ١٤١٥، ج١٥، ص٧٢) والأمثلة في هذا الباب كثيرة.

٣. العادات السيئة للعرب الجاهلي

ذكر ابو الفرج الاصفهاني في كتابه الأغاني بعض العادات السيئة للعرب الجاهلي؛ نشير فيما يلي الى البعض منها:

٣-١. العكوف على الأصنام

أول الصفات السيئة التي تشين العرب الجاهلي، عبادتهم الاصنام وعكوفهم عليها وهي العادة التي أكدت عليها التواريخ رغم علمهم بأنها من صنع أيديهم من حجر وخشب وغيرها. وقد أشار ابو الفرج الى هذه العادة في بعض صفحات كتابه الأغاني منها في كلامه عن زيد بن مهلهل بن يزيد الذي كان يسمى بإسمه العائلي أعني ابن عبد رضا ثم يشير المؤلف أن رضا هذا إسم صنم كان لطيئ. (الأصفهاني، ١٤١٥، ج١٧، ص١٥٨)

كذلك في كلامه عن كعب بن معدان الأشقري أنه كان لهم صنم يسمى ضمار ولما حان أوان وفات أبيه أوصاه بضمار وبعبادته وبالقيام عليه؛ فكان الرجل وعملاً بوصية أبيه، يأتي لهذا الصنم المعد للعبادة في بيت لوحده، فيعبده يومياً الى أن أظهر الاسلام بعد الاحزاب على يد رسول الله صلى الله عليه و آله. (الأصفهاني، ١٤١٥، ج١٤، ص٤٥٤).

ثم في ترجمته لعبدة بن الطبيب بن عبد تيم يذكر أنه من تميم أي ابن تميم ولكن تميم كلهم كان في الجاهلية يدعون بعبد تيم و تيم هذا كان اسم صنم لهم في الجاهلية و كانوا يعبدونه. (الأصفهاني، ١٤١٥، ج٢١، ص٢١).

٣-٢. وأد البنات

من أسوء العادات التي تذكر بها العرب الجاهلي، وأدهم البنات حيث اسودت صفحات التاريخ من فعلتهم هذه ولم يتمكنوا من تقديم أي مبرر لفعلتهم الشنيئة تلك.

أشار ابو الفرج بالمناسبة الى وادت بعض العرب الجاهلي بناتهم في كتابه الأغاني فذكر في أبيات لأحد الشعراء الذي كان يفخر بالعجم على العرب: (الأصفهاني، ١٤١٥، ج٤، ص٥٣٨).

ربّ خال متوّج لي وعمّ ماجد مجتدى كريم النّصاب
إنّما سمّي الفوارس بالفر س مضاهاة رفعة الأنساب
فاتركي الفخر يا أمام علينا واتركي الجور وانطقي بالصّواب
و اسألي إن جهلت عنّا وعنكم كيف كنّا في سالف الأحقاب
إذ نربّي بناتنا وتدسّو ن سفاها بناتكم في التّراب

ولكن المهم في المسئلة الجواب الذي أتاه من بعض العرب وهو أشعب حيث ردّ عليه قائلاً: صدقت والله يا أبا فائد، أراد القوم بناتهم لغير ما أردتموهنّ له. قال: وما ذاك؟ قال: دفن القوم بناتهم خوفا من العار، وربّيتموهنّ لتنكحوهنّ. (الأصفهاني، ١٤١٥، ج٤، ص٥٣٩).

وهل هذا الأمر يكون حجة لودأ البنات يا ترى؟ و هل أشعب هذا بقي أعزباً حتى آخر حياته؟ أم تزوج من بنت تربت و ترعرعت في أحسن ما يكون في بيت أبيها معززة مكرمة؟! أليس في هذه العصبية العمياء تعطيلاً للنسل؟! ثم هل يوجد الرجل أساساً من غير امرأة؟ أم أن المرأة هي التي تلد الرجل؟!

كذلك في ترجمته لقيس بن عاصم بن سنان حيث يذكره ابو الفرج أنه كان ممن ساد في الجاهلية و في الاسلام معاً(الأصفهاني، ١٤١٥، ج١٤، ص٣٠٠) ولكنه والحال هذه فقد كان يعمل بودأ بناته في الجاهلية فقال عنه أنه سأله بعض الانصار عن وأده البنات وهو في محضر رسول الله صلى الله عليه وآله؛ فأجاب بكل وقاحة أنه ما ولدت له بنت الا وأدها ولم يرحم أية واحدة منهن الا واحدة ولدت وهو في سفر فدفعتها أمها الى أخوالها سراً و أنها

أخبرته أن المولود ولد ميتاً وبعد مضي سنين وعندما كان البنت في زيارة لأمها، دخل فرأها فسأل عنها فأخبرته الزوجة أنه ابنته ولكنه والحال هذه والبنت قد كانت أصبحت غير صبية، أخذها الى الصحراء وحفر لها حفيرة والقاها فيها وأخذ يقذف عليها التراب وهي حية تناديه: ما تصنع بي يا ابتاه؟! حتى غضيها التراب وانقطع صوتها فدفنت وهي حية! فلما قص هذه القصة بكل فخر واعتزاز، دمعت عينا النبي صلى الله عليه وآله. (الأصفهاني، ١٤١٥، ج١٤، ص٣٠٠)

ثم نقل ابو الفرج قولاً في بيان سبب وأده البنات وذلك أن في إحدى الغارات التي حدثت ضد قبيلة قيس بن عاصم، سبيت نسائهم بما فيهن امرأة كانت ابنة أخت له وكان قيس خالها؛ وبعد هذه الغارة ذهب قيس ليطلب من عمرو بن المشمرج ان يهبها له فوجده قد اتخذها لنفسه ولما سألها ان تختار الرجوع الى قبيلتها او ان تبقى مع عمرو بن المشمرج، اختارت المرأة البقاء دون الرجوع؛ فغضب قيس و وأد كل بناته ولم يبقي منهن واحدة واتخذت العرب فعلته هذه سنة وعادة بينهم. (الأصفهاني، ١٤١٥، ج١٤، ص٣٠١)

٣-٣. شرب الخمر

من جملة عادات العرب الجاهلي قبل ظهور الاسلام، شربهم الخمر وقد أشار ابو الفرج الى هذه المسئلة في عدد من صفحات كتابه الأغاني منها عند ذكره ترجمة قيس بن عاصم بن سنان حيث يشير الى سبب تحريمه الخمر على نفسه وذلك وهو أنه كان سكران في ليلة من الليالي فغمز ابنته فهربت من بين يديه و لكا صحى من سكرته في يوم غد وأعلموه بما فعل الليلة الماضية، حرّم الخمر على نفسه و قال: (الأصفهاني، ١٤١٥، ج١٤، ص٣٠٩)

وجدت الخمر جامحة و فيها	خصال تفضح الرّجل الكريما
فلا والله أشربها حياتي	ولا أدعو لها أبدا نديما
ولا أعطي بها ثمنا حياتي	ولا أشفى بها أبدا سقيما
فإنّ الخمر تفضح شاربيها	وتجشمهم بها أمرا عظيما
إذا دارت حميّاها تعلّت	طوالع تسفه الرّجل الحليما

كذلك في ترجمته لأبي محجن عبد الله بن حبيب حيث ذكره أنه كان من العانقين للخمر وقد أجري عليه الحد في شربها في الاسلام. (الأصفهاني، ١٤١٥، ج١٩، ص٥) ثم أقسم أن لا يشربها في الاسلام فذكر الأبيات التالية عنه: (الأصفهاني، ١٤١٥، ج١٩، ص٩)

إن كانت الخمر قد عزّت وقد منعت وحال من دونها الإسلام والحرج
فقد أباكرها صرفا و أمزجها ريّا وأطرب أحيانا وأمتزج
وقد تقوم على رأسي منعمة خود إذا رفعت في صوتها غنج
ترقّع الصّوت أحيانا و تخفضه كما يطنّ ذباب الرّوضة الهزج

ثم فيما بتعلق بالأقيشر من بني أسد حيث يذكر عنه أنه كان ماجناً مدمناً في شرب الخمر ايضاً. (الأصفهاني، ١٤١٥، ج١١، ص١٦٨) فهذه نماذج من بعض العرب الذين ذكرهم ابو الفرج في كتابه الأغاني و أشار الى شربهم الخمر وادمامهم لها.

٣-٤. كثرة الحروب

من عادات العرب الجاهلي السيئة والتي لربما لازال يحافظ عليها بعض العرب، كثرة مقاتلتهم و وقوع العداء فيما بينهم ولذلك كان الشجار يقع بينهم وتكثر اراقة الدماء فيهم في مسائل مختلفة وإن كانت صغيرة وغير مهمة!

فقد ذكر ابو الفرج في ترجمته لخفاف بن عمير بن الحارث وقتله مع العباس بن مرداس حيث أنشأ يقول في العباس:

أرى العباس ينفض مذرويه دهين الرأس تقليه النساء
وقد أزرى بوالده خفاف ويحسب مثله الداء العياء
فلا تهد السّباب إلى خفاف فإن السّبّ تحسنه الإماء
و لا تكذب وأهد إليه حربا معجّلة فإن الحرب داء
أذلّ اللّه شرّكما قبيلا ولا سقّت له رسما سماء

فسمعه العباس واقتتلا بقومهما قتالاً شديداً فمشى دريد بن الصمة ومالك بن عوف لهما ولقومهما يحذرانهما عاقبة الحرب و القتال. (الأصفهاني، ١٤١٥، ج١٨، ص٣١٢)

ثم عما حدث في الحرب بين بني عامر وبني جشم و بين أسد وغطفان من أن الوقعة حدثت بعد أن أغار بنو عامر وبنو جشم على أسد وغطفان من ذكر الحرب التي كانت بينهم. (الأصفهاني، ١٤١٥، ج١٠، ص٢٥٠) وايضاً وقوع الحرب بين رهط هدبة بن خشرم وبين رهط زيادة بن زيد حيث يذكر سبب ذلك وهو أن حوط بن خشرم أخا هدبة راهن زيادة بن زيد على جملين من إبلهما، وكان مطلقهما من الغاية على يوم و ليلة، وذلك في القيظ، فتزودوا الماء في الروايا والقرب، وكانت أخت حوط سلمى بنت خشرم تحت زيادة بن زيد، فمالت مع أخيها على زوجها، فوهّنت أوعية زيادة، ففنى ماؤه قبل ماء صاحبه. (الأصفهاني، ١٤١٥، ج٢١، ص١٦٧)

وايضاً حرب جديلة والغوث الطائيين حيث اقتتلت جديلة من طيئ في حرب تسمى حرب الفساد حيث تحزبت حزبين حزب جديلة و حزب الغوث فتحاربوا أربعة أيام فهزمت جديلة وهربت من موقعها. (الأصفهاني، ١٤١٥، ج١٣، ص٩) ثم حروب الفجار وحروب عكاظ وقد ذكر ابو الفرج تفاصيلها ايضاً في كتابه الأغاني. (الأصفهاني، ١٤١٥، ج٢٢، ص٣٠٧) وغيرها من الحروب والوثعات التي لم تكن بقليلة بل كانت أمراً معتاداً قد إعتاد عليه العرب الجاهلي فقد كانوا دوماً في حروب وقتال.

النتائج

بعد دراسة عنوان عادات العرب في الجاهلية من خلال كتاب الأغاني لأبي الفرج الاصفهاني توصلنا الى نتائج من أهمها أن العرب الجاهلي كانوا يخضعون لحياة قبلية ولهذا كانوا قد إعتادوا على أمور سيئة الى جانب الأمور الحسنة؛ ثم من جملة عاداتهم الحسنة التي ذكرهم التاريخ بها وقد أشار ابو الفرج الاصفهاني اليها كرمهم وجودهم، وفائهم بالعهود وشجاعتهم؛ كما كان لهم عادات سيئة قد أشار اليها مؤلف كتال الأغاني من أهمها عكوفهم على عبادة الأصنام، وأدهم البنات ودفنهن أحياء، شربهم الخمر وكثيرة الخلاف والشجار والحروب فيما بينهم.

الهوامش

١. الفراهيدي، كتاب العين: ج٢، ص١٢٨ و الأزهري، تهذيب اللغة: ج٢، ص٢١٨.
٢. الجوهري، الصحاح: تاج اللغة و صحاح العربية: ج١، ص١٧٨.
٣. الجهامي، الموسوعة الجامعة لمصطلحات الفكر العربي و الإسلامي تحليل و نقد: ج١، ص١٧٤٦.
٤. بصمه جي، معجم مصطلحات ألفاظ الفقه الإسلامي: ص٤٠٥.
٥. الجهامي، الموسوعة الجامعة لمصطلحات الفكر العربي و الإسلامي تحليل و نقد: ج١، ص١٧٤٧.
٦. الفراهيدي، كتاب العين: ج٣، ص٣٩٠.
٧. الأزهري، تهذيب اللغة: ج٦، ص٣٧ و ابن منظور، لسان العرب: ج١١، ص١٣٠.
٨. بصمه جي، معجم مصطلحات ألفاظ الفقه الإسلامي: ص١٦٦ و ابو جيب، القاموس الفقهي لغة و اصطلاحاً: ص٧٢.
٩. سرور، المعجم الشامل للمصطلحات العلمية و الدينية: ج١، ص٩٧.
١٠. المجددي البركتي، التعريفات الفقهية: ص٦٨.
١١. الخوانساري، روضات الجنات في أحوال العلماء و السادات: ج٥، ص٢٢٠.
١٢. ابن نديم، الفهرست: ص١٦٦.
١٣. الطوسي، الفهرست: ص١٩٢.
١٤. عبدالحميد، معجم مورخي الشيعة: الإمامية- الزيدية- الإسماعيلية: ج١، ص٥٩٣.
١٥. الخوانساري، روضات الجنات في أحوال العلماء و السادات: ج٥، ص٢٢٠.
١٦. الخوئي، معجم رجال الحديث و تفصيل طبقات الرواة: ج١٢، ص٣٩٧.
١٧. الطوسي، الفهرست: ص١٩٢.
١٨. ابن نديم، الفهرست: ص١٦٧.
١٩. الطوسي، الفهرست: ص١٩٢.
٢٠. الصفدي، الوافي بالوفيات: ج٢١، ص٢٥.
٢١. ابن نديم، الفهرست: ص١٦٧.
٢٢. آقا بزرك الطهراني، الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ج٢، ص٢٤٩.
٢٣. حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون: ج١، ص١٢٩.
٢٤. سلوى، الكوكب الثاقب في أخبار الشعراء و غيرهم من ذوي المناقب: ج١، ص٦٢.
٢٥. سلوى، الكوكب الثاقب في أخبار الشعراء و غيرهم من ذوي المناقب: ج١، ص٦٢.

٢٦. سركيس، *معجم المطبوعات العربية و المعربة و هو شامل لأسماء الكتب المطبوعة في الأقطار الشرقية و الغربية*: ج١، ص٣٣٨.

٢٧. ابو الفرج الاصفهاني، الأغاني: ج١، ص٢٥.

٢٨. ابو الفرج الاصفهاني، الأغاني: ج١، ص٢٥.

٢٩. ابو الفرج الاصفهاني، الأغاني: ج١، ص٢٦.

٣٠. عبدالحميد، معجم مورخي الشيعة: الإمامية- الزيدية- الإسماعيلية: ج١، ص٥٩٤.

٣١. الأمين، أعيان الشيعة: ج٨، ص٢٠٠.

٣٢. ابو الفرج الاصفهاني، الأغاني: ج٢٢، ص٣٥٠.

٣٣. ابو الفرج الاصفهاني، الأغاني: ج١٧، ص٢٣٤.

٣٤. ابو الفرج الاصفهاني، الأغاني: ج١٧، ص٢٣٣.

٣٥. ابو الفرج الاصفهاني، الأغاني: ج١٧، ص٢٣٣.

٣٦. ابو الفرج الاصفهاني، الأغاني: ج١٧، ص٢٣٥.

٣٧. ابو الفرج الاصفهاني، الأغاني: ج١٣، ص٢٠.

٣٨. ابو الفرج الاصفهاني، الأغاني: ج١٥، ص٢٤١.

٣٩. ابو الفرج الاصفهاني، الأغاني: ج٢٢، ص٣٥٠.

٤٠. ابو الفرج الاصفهاني، الأغاني: ج٢٢، ص٣٥١.

٤١. ابو الفرج الاصفهاني، الأغاني: ج١٠، ص٢٦٠.

٤٢. ابو الفرج الاصفهاني، الأغاني: ج٢٢، ص٣٣١.

٤٣. ابو الفرج الاصفهاني، الأغاني: ج١٧، ص١٨٤.

٤٤. ابو الفرج الاصفهاني، الأغاني: ج١٧، ص١٨٥.

٤٥. ابو الفرج الاصفهاني، الأغاني: ج١٥، ص١٣٧.

٤٦. ابو الفرج الاصفهاني، الأغاني: ج١٥، ص٧٢.

٤٧. ابو الفرج الاصفهاني، الأغاني: ج١٧، ص١٥٨.

٤٨. ابو الفرج الاصفهاني، الأغاني: ج١٤، ص٤٥٤.

٤٩. ابو الفرج الاصفهاني، الأغاني: ج٢١، ص٢١.

٥٠. ابو الفرج الاصفهاني، الأغاني: ج٤، ص٥٣٨.

٥١. ابو الفرج الاصفهاني، الأغاني: ج٤، ص٥٣٩.

٥٢. ابو الفرج الاصفهاني، الأغاني: ج١٤، ص٣٠٠.

٥٣. ابو الفرج الاصفهاني، الأغاني: ج١٤، ص٣٠٠.

٥٤. ابو الفرج الاصفهاني، الأغاني: ج١٤، ص٣٠١.
٥٥. ابو الفرج الاصفهاني، الأغاني: ج١٤، ص٣٠٩.
٥٦. ابو الفرج الاصفهاني، الأغاني: ج١٩، ص٥.
٥٧. ابو الفرج الاصفهاني، الأغاني: ج١٩، ص٩.
٥٨. ابو الفرج الاصفهاني، الأغاني: ج١١، ص١٦٨.
٥٩. ابو الفرج الاصفهاني، الأغاني: ج١٨، ص٣١٢.
٦٠. ابو الفرج الاصفهاني، الأغاني: ج١٠، ص٢٥٠.
٦١. ابو الفرج الاصفهاني، الأغاني: ج٢١، ص١٦٧.
٦٢. ابو الفرج الاصفهاني، الأغاني: ج١٣، ص٩.
٦٣. ابو الفرج الاصفهاني، الأغاني: ج٢٢، ص٣٠٧.

المصادر

١. ابن منظور، محمد بن مكرم. (١٤١٤ ق). لسان العرب. بيروت: دار صادر.
٢. ابن نديم، محمد بن اسحاق. (دت). الفهرست. بيروت: دار المعرفة.
٣. ابو الفرج الاصفهاني، علي بن حسين. (١٤١٥ ق). الأغاني. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
٤. ابو جيب، سعدي. (١٤٠٨ ق). القاموس الفقهي لغة و اصطلاحاً. دمشق: منشورات دار الفكر.
٥. الأزهري، محمد بن احمد. (١٤٢١ ق). تهذيب اللغة. بيروت: دار احياء التراث العربي.
٦. آقا بزرك الطهراني، محمد محسن. (١٤٠٣ ق). الذريعة إلى تصانيف الشيعة. بيروت: دار الأضواء.
٧. الأمين، محسن. (١٤٠٣ ق). أعيان الشيعة. تحقيق حسن الامين. بيروت: دار التعارف للمطبوعات.
٨. بصمه جي، ساير. (٢٠٠٩ م). معجم مصطلحات ألفاظ الفقه الإسلامي. دمشق: صفحات للدراسات و النشر.
٩. الجهامي، جيرار. (٢٠٠٦ م). الموسوعة الجامعة لمصطلحات الفكر العربي و الإسلامي تحليل و نقد. بيروت: مكتبة لبنان ناشرون.

١٠. الجوهري، اسماعيل بن حماد. (١٣٧٦ ق). الصحاح: تاج اللغة و صحاح العربية. بيروت: دار العلم للملايين.

١١. حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله. (دت). كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

١٢. الخوانساري، محمد باقر بن زين العابدين. (١٣٩٠ ق). روضات الجنات في أحوال العلماء و السادات. قم: منشورات دهاقاني.

١٣. الخوئي، سيد ابو القاسم. (١٤١٣ ق). معجم رجال الحديث و تفصيل طبقات الرواة. د م: د م.

١٤. سركيس، يوسف اليان. (١٤١٠ ق). معجم المطبوعات العربية و المعربة و هو شامل لأسماء الكتب المطبوعة في الأقطار الشرقية و الغربية. قم: المكتبة العامة للآية الله المرعشي النجفي ره.

١٥. سرور، ابراهيم حسين. (١٤٢٩ ق). المعجم الشامل للمصطلحات العلمية و الدينية. بيروت: دار الهادي.

١٦. سلوى، عبد القادر بن عبد الرحمن. (١٤٢٧ ق). الكوكب الثاقب في أخبار الشعراء و غيرهم من ذوي المناقب. المغرب: وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية.

١٧. الصفدي، خليل بن ايبك. (١٣٨١ ق). الوافي بالوفيات. بيروت: دار النشر فرانز شتاينر.

١٨. الطوسي، محمد بن الحسن. (دت). الفهرست. النجف الأشرف: مكتبة المرتضوية.

١٩. عبدالحميد، صائب. (١٤٢٤ ق). معجم مورخي الشيعة: الإمامية- الزيدية- الإسماعيلية. قم: مؤسسة دائرة معارف الفقه الاسلامي.

٢٠. الفراهيدي، خليل بن احمد. (١٤٠٩ ق). كتاب العين. قم: منشورات الهجرة.

٢١. المجددي البركتي، محمد عميم الاحسان. (٢٠٠٩ م). التعريفات الفقهية. بيروت: دار الكتب العلمية منشورات محمد علي بيضون.